مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني، ص٢٥-٥٢، يونيو ٢٠١٩
ISSN ٢٥١٨-٥٨١٠

سيرة أبي الحسن الرَّازحي الذاتية من التشيُّع إلى مذهب أهل السنة والجماعة قراءة في المضمون وآلية الخطاب

د. رائد مصطفى عبد الرحيم *
DOI: 10.34065/1262-023-002-002

الملخص

تناول البحثُ السيرةَ الذاتية التي كتبها أبو الحسن الرازحي، وضمّنها كتابه (توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ)، تحدّث فيها عن حياته في ظلّ المذهب الشيعي ثم انتقاله إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وسرد فيها تجربته كاملة في هذا الأمر، وقد ركّز البحث على الموضوعات الآتية:

١- واقع المجتمع الشيعي في اليمن.

٢- نظرة كل طائفة إلى الطائفة الأخرى هناك.

٣- الأسباب التي تقف وراء ذلك الصراع العميق بين المجتمعين السني والشيعي.

٤- موقف الشيخ الرازحي ممّا سبق.

٥- آليات الخطاب في السيرة.

وكان منهج الدراسة الوصفي التحليلي إذ ركّز على مضمون هذه السيرة، ولغة الخطاب فيها وفق عناصر السيرة الذاتية في النقد الحديث.

وكان من أبرز نتائج البحث أن الكاتب ركّز على مجتمع الشيعة في اليمن، وما فيه من انحرافات عقدية، وقارن بينه وبين المجتمع السني الذي حرص على إبرازه بصورة مثالية، وأعطى صورة عن دار الحديث بدمّاج، ودورها في نشر مذهب السنة والجماعة وعن مؤسسها مقبل بن هادي الوادعي، وتميّزت سيرته بخصائص فنية، منها: التشويق، والفائدة، واللغة السهلة، والأثر الديني والمذهبي، والموضوعية، والصّدق، والتّعليق، وحسن الانتقاء، والصّراع ونجوى الذّات، والنموّ والتّطوّر والتّغيّر.

الكلمات المفتاحية: سيرة ذاتية، ومضمون، وخطاب، وشيعة، وسنة.

* جامعة النجاح الوطنية- نابلس.

The Autobiography of Abu El-Hassan Al-Razihi: Raed Abdelraheem

Abstract

This research introduces Abul El-Hassan Al-Razihi's autobiography which he added into his book "Clarifying the News of the founder or Shi'a Sect-Abdullah Ibn Saba". This autobiography includes information about his early childhood in the Shiite society and his conversion to Sunni doctrine. He (Al-Razihi) had added detailed information about this experience with Sunna and Shi'a doctrines.

Therefore, this research addresses the following subjects:

-The actual situation of the Sunnis living in Yemen.

-The actual situation of Shiites living in Yemen.

- How does each denomination view one another?

- The reasons behind the grave conflict between the two societies (the Sunnis and the Shiites)

- The position of Sheikh El-Razih and his point of view in this regard

- The mechanism of discourse in El-Razihi's autobiography

Moreover, this study focuses on the content of this biography and its discourse according to modern criticism on autobiography's elements, which made it special and different from other prose arts.

The research's most important results are that the writer focuses on the Shi'a and the deviation in their creed in Yemen. It also compares between the Sunni community, which he presented in a perfect picture, and the Shi'a community. Moreover, he gave us an idea on Dar Al Hadith in Dammaj and its important role in spreading Sunna's doctrine, and about Muqbil Bin Hadi, who is its founder.

This autobiography is unique because of the following technical characteristics that it has which are: thrill, a profit is grasped of reading it, easy language, religious and theological effect, objectivity, honesty, good selection, a conflict and a monologue, growth, development and lastly, change.

Key words: Biography,content,Speech, Shia, Sunnah

الهدف من كتابة السيرة:

أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن الرازحي[١]، عالم يمني[٢]، وأديب حديث معاصر كتب سيرته الذاتية التي أوردها في مقدمة كتابه: (توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ بين أقلام أهل السنة والشيعة وغيرهم)[٣]، وعدد صفحاتها ١٩ صفحة، تحدث فيها عن تجربته المذهبية، وانتقاله من التشيع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وما مرّ فيه من مراحل وصراعات نفسية ومقارنات فكرية، حتى تبيّن له طريق الحق على حد تعبيره، وقدّم سيرته منذ طفولته إذ تعلّم الفكر الشيعي في مدارس قريته، وعلى يد مدرسين من الطائفة الشيعية هناك، فأضحى متزمّتًا في المذهب، مبغضاً لأهل السنة والجماعة، ثم سرد العوامل المؤثرة في اعتناقه مذهب السنة والجماعة، وفي مقدمتها خاله وأخوه عيضة، الذي حثّه على تلقي العلم الشرعي في مدرسة دار الحديث[٤] في دمّاج[٥] بصعدة، على يد مؤسسها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي[٦]، فاستجاب له، والتحق بها، فتغيّر فكره، واستبان له

---

[١]- رازح إحدى مديريات محافظة صعدة في اليمن، وتقع غربها، ويتجاوز عدد سكانها الـ ٧ آلاف، وهي نسبة إلى رازح بن خولان بن عمرو بن الحاف من قضاعة. الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مادة رزح، اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ٣٥٥/١، ٤٧٦.

[٢]- تبيّن لي بعد البحث في حياة الرازحي أنه يتصف بسعة علمه، وتأليفه، وتحقيقه الكتب التي صدرت عن دور نشر كثيرة في اليمن ومصر، وهي دار الآثار ودار الحكمة اليمانية بصنعاء، ودار الإيمان بالإسكندرية، ودار الإمام أحمد، ومكتبة العلوم والحكم، ومكتبة الرضوان بالقاهرة، وتتجاوز مؤلفاته عشرين كتابا وتحقيقاً، وتختص بعلوم الحديث والفقه والمواعظ والحكم، وعن المذاهب والفرق الإسلامية وغيرها، ولا مجال لذكرها هنا لعدم اختصاص هذا البحث بمؤلفات الرازحي أو استقصاء سيرة حياته.

[٣]- قدّم له الشيخ أحمد بن يحيى النجمي، دار الآثار، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

[٤]- أسسها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي سنة ١٩٧٩م، في دمّاج في محافظة صعدة باليمن، وكان يؤمّها طلاب كثر من مختلف أنحاء العالم، وكانت تُدرّس العلوم الدينية من حديث وتفسير وقرآن وفقه وعلوم اللغة العربية المختلفة، وأسهمت الدّار في نشر مذهب السنة والجماعة في اليمن، وفي تحوّل عدد كبير من الشيعة عن تشيعهم. كانت هذه الدّار مجمعاً علمياً، حوت مسجدين: واحداً للرجال وآخر للنّساء، وبيوتاً لسكن الطلاب، وغرفة فسيحة لاستقبال الضيوف. انظر الحاشدي، كتاب أمة في رجل: لمحات من حياة الإمام مقبل بن هادي الوادعي، ص٨٧- ٩٠.

[٥]- دمّاج بتشديد الميم، تقع جنوب شرق محافظة صعدة باليمن، وتتبع مديرية الصفراء في محافظة صعدة، وهي منطقة وديان، انظر اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ٣٣٢/١، ٤٦٩.

[٦]- من أبرز دعاة السلفية باليمن، كانت له شهرة واسعة بعد أن أسس دار الحديث بدمّاج، ولد سنة ١٩٣٧م، وتوفي سنة ٢٠٠١م ، بعد أن عانى مرض السرطان في كبده، وينسب إلى قبيلة وادعة التي تسكن دمّاج، وصف الرجل بسعة علمة وتقواه وزهده وكرمه وتواضعه وجرأته وحرصه على نشر السنة وتطبيقها، وله عدد من الكتب الفقهية وكتب علوم الحديث وغيرها، ذاع صيته، وكان رمزاً من رموز علماء السلفية في اليمن، بل في العالم كلّه، وكادَ له الأعداء، وحاولوا اغتياله غير مرّة. انظر ترجمته في كتاب شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين، لأبي الأشبال المصري، ص ٢١١ وما بعدها. وكتاب "نبذة يسيرة من حياة أحد أعلام الجزيرة"، لأبي همام البيضاني، وكتاب "الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي رحمه الله "، لعبد العزيز بن محمد السدحان، وكتاب "نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي وسيرته العطرة"، لأم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، وكتاب "مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج"، لمعمر بن عبد الجليل القدسي، وكتاب "أمة في رجل: لمحات من حياة الإمام مقبل بن هادي الوادعي"، لأبي عبد الله فيصل الحاشدي .

سيرة أبي الحسن...

الحق من الضلال[٧]، فصار من أشدّ المدافعين عن عقيدة السّنة والجماعة، وأكثر الحانقين على التشيّع، فأحبّ أن يقدّم سيرته ليبيّن للمتلقّين هذه التّجربة، وهو ما يتجلّى في قوله في مقدمة سيرته: "أمّا بعد، فإن الله سبحانه وتعالى قد منّ عليّ بالهداية، ولربما كانت حلاوة الهداية وطعم الإيمان عند من ذاق مرارة الضلال وظلمات البدع، أرفع ذوقًا، وأحسن طعماً. وفي هذه المقدمة أحب أن أضع نقاطاً عايشتها بين أهل البدع، علّ الله ينفعُ بها من شاء من عباده". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠). وحين ختم السيرة، وقدم ما قدّم فيها من فروقات عاركها وعرفها عن قرب بين أرباب التشيع، وأهل السنة والجماعة قال: "أخي المحبّ إنّي ما ذكرت لك هذه النماذج ممّا مرّ بي من الشيعة، ثمّ مع السنة إلا لتعرف الفرق الشاسع بين أهل الهداية وأهل الضلالة، لتقتفي آثار الحق وتتبعه، وتدحر وتنحر طريق الضلالة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٨).

مضامين السيرة:

كاتب السيرة الذاتية هو ابن مجتمع عاش فيه، وأثّر وتأثر، ومن الطبيعي حين يكتب سيرته أن يركّز على الجانب الذاتي، ولكن ذلك لا يعني أن يغفل العوامل الخارجية التي أثرت فيه، وبلورت رؤاه وفكره، وصقلت شخصيّته سلباً أو إيجاباً، ومن هنا كان لزاماً على ناقد السيرة الذاتية أن يرصد ذلك كلّه، وهي:

١- شيعة اليمن.

٢- دار الحديث في دمّاج.

٣- خصائص السّيرة وعناصرها من حيث: نوعها، والحقيقة، والصدق والصراحة، والموضوعية والبعد عن التحيّز، والتعليق، والحذف والانتقاء، والصراع ونجوى الذّات، والنّمو والتّطوّر والتّغيّر، وأساليب أخرى. وسيتناول البحث هذه المضامين وفق الآتي:

أوّلاً- شيعة اليمن:

إنّ محور هذه السيرة يدور حول تجربة رجل عاش حقبة من حياته متشيّعاً، يعيش في مجتمع كل ما فيه ينطق بهذا الفكر؛ ولذا نضحت سيرته بالحديث عن الشيعة ومجتمعهم في اليمن، وتجلى ذلك

[٧]- سيأتي تفصيل ذلك تحت عنوان: (النمو والتّطوّر والتغيّر).

في حديثه عن فكرهم وتأويلاتهم العقدية، ومدارسهم، ومناهجهم التدريسية، وطريقتهم في التدريس وزرع الفكر في نفوس المتشيعين، ووصف أخلاقهم، وموقفهم من عقيدة أهل السنة والجماعة.

بيّن الرازحي أن شيعة اليمن في منطقته كانوا لا يؤمنون بالمدارس التي تفتحها الدولة على مدار السنة؛ لاعتقادهم أن ما تقدمه ينسجم وعقيدة السنة، ويخالف عقيدة التشيع؛ ولذا كانوا يفتحون المدارس الصيفية لمسح "ما قد استفاده طلاب المدارس من المنهج المدرسيّ؛ لأنهم يسمونه منهجاً وهابيّاً". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١١)، وقد التحق الرازحي في طفولته بهذه المدارس، وتحدّث عن مدرسيها، ومناهجهم، وطريقتهم في بث الفكر الشيعي، وبغض عقيدة السنة والجماعة، فالمدرسون كانوا يقضون أغلب وقتهم في مضغ القات وتعاطيه. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢)، وتركزت مناهجهم في "العكوف على الكتب التي من خلالها يعرفون الشُّبَه، ويخالفون عقيدة أهل السنة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص١٢)، والكتب التي تركز على حب آل البيت ومشايعتهم، وتتضمن بغضاً للصحابة وأهل السنة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢). أمّا الفكر الذي كانوا يغرسونه في نفوس التلاميذ في هذه المدارس، فيدور حول بغض الصحابة؛ لأنهم "أخذوا الخلافة من عليّ وغصبوه حقّاً له، وكذا فعلوا مع فاطمة فمنعوها حقّها من أبيها... (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢)"، وكانوا ينصّون للطلبة أنّ ذلك هو فكر الوهابية، الذين "يبغضون آل البيت، ويحبون بقيّة الصحابة، الذين أخذوا حقوق آل البيت". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢)، حتى إنّهم كانوا يصوّرون "الحرب حامية الوطيس بين أهل البيت والصحابة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣). ويذكر الرازحي أنّهم كانوا يركزون في أثناء التدريس على الشُّبَه ومواطن الخلاف، ويدرسونها بأساليب مختلفة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣). وكانوا يستدلون على آرائهم بأحاديث ضعيفة، تدعم رأيهم في أحقية آل البيت في الإمامة، ومنها "أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى"، وغيره من الأحاديث. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٥)، وكانت طريقتهم في الحديث عن الله وصفاته، على حدّ تعبير الرازحي، نفياً لوجوده، ووجّهوا تدريس النحو العربي ليتماشى مع فكرهم، ومن هنا كانوا لا يؤمنون ببعض تعليلات ابن هشام النحوي وآرائه. فمن ذلك حديثهم عن "لن"، فهي عند ابن هشام تفيد "النفي

والاستقبال بالاتفاق، ولا تقتضي تأبيداً خلافاً للزمخشري في أنموذجه، ولا تأكيداً خلافاً له في كشّافه". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٥)، ولكنّ رأي ابن هشام لم يكن يعجبهم، فكان مدرسهم يقول: "إنّ كلام ابن هشام باطل، وإنّما أراد أن ينصر مذهبه في تثبيت الرؤية لأنّه وهابيّ". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٦)، وهكذا رأيهم في صحيحي البخاري ومسلم، وغيرهما من كتب السنة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٦).

ويركّز الرازحي على تقديم آرائهم ف بغض الصحابة، مركزين على أبي بكر– رضي الله عنه– الذي كانوا يسمونه الذريق أو الصندوق. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، ثم بعده عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وما ذلك إلا لأنهم سلبوا الخلافة من آل البيت، ويعبر الرازحي عن كرههم لصحابة آخرين بقوله: "أمّا أبو موسى الأشعري، فلا تسأل، وكذلك جرير ابن عبد الله. وأمّا معاوية، فالترضية عليه يعدّونها كبيرة من الكبائر"، وكانوا يكفرونه. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤).

وتحدّث الرازحي عن موقف شيعة اليمن من دار الحديث بدمّاج، ومن شيخها مقبل بن هادي الوادعي، ومن الذين اتّبعوه فاعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة، فالوادعي في رأيهم خرج ليغيّر الدين في اليمن، ويحوّل أناسها إلى الوهابيّة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤– ١٥)، ومن هنا عدّوا من نهج نهجه، واعتنق فكره كافراً. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص١٦)، وعاقبوهم سجناً وقتلاً وتشريداً، وأصدروا الفتاوي بذلك. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٦)، ويسرد الرازحي أنّ أحد فقهائهم وهو صلاح فليتة "خرج وأظهر من فوق السوق، وحثّ على أن يقبضوا على من تمسّك بالسنّة، وأفتى بأنّ من كان من هؤلاء الوهابيين، يعني أهل السنة، فقد أصبحت امرأته طالقة، ولا يجوز أن يزوّج منهم، ولا يُصلّى وراءهم، وأفتي بأن من ضمّ، أي وضع يمينه على يساره في الصلاة، وأمّن بعد الفاتحة في الصلاة فإنّ صلاته باطلة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٦).

وذكر الرازحي بعض الممارسات العقدية في المجتمع الشيعي، ومنها سب أهل السنة، وتطرق إلى صلاتهم إذ كانوا يصلون الظهر مع العصر، "والمغرب مع العشاء تقديماً أو تأخيراً"، ولا يصلي أكثرهم صلاة الفجر" إلا مع طلوع الشمس أو بعد طلوعها". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٩)".

وقدّم الرازحي صورة عن أخلاق الشيعة في مجتمعة وسلوكهم في المقارنة التي أجراها بين عقيدتهم، وعقيدة أهل السنة والجماعة، فالمجتمع الشيعي يكثر فيه السب والشتم واللعن بين أبنائه" لا من الله يخافون، ولا من الخلق يستحون". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨)، وينتشر في مجتمعهم الإيمان بالسحرة والمشعوذين والتمائم والحروز، وبلغ ذلك درجة التقديس والهرولة، حتى إن بعض فقهائهم كان يفتي بجوازها. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٩)، وكانوا يلجؤون إليها في الإيقاع بمن يبغضون ويكرهون من أبناء ملّتهم. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٩)، ويشير الرازحي إلى انتشار الحقد والبغض والحسد بين شيعة اليمن في منطقته. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠)، والكذب "بل الذي يستخدمه يعدّ من الحاذقين". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠).

ثانياً- دار الحديث بدمّاج:

كانت دار الحديث بدمّاج من أبرز المؤثرات في حياة أبي الحسن الرازحي، وفي انتقاله من التشيع إلى عقيدة السنة والجماعة؛ ولذا أخذت نصيباً من سيرته إذ تحدّث عن شيخها، وطلابها، وما يدرّس فيها، وأثرها في المجتمع اليمني، وموقف الشيعة في اليمن شيخها، ومن الذين اتّبعوا نهجها. يذكر الرازحي أنّه حين وصل إلى هذه المدرسة تفاجأ "بعدد الطلاب المتكاثر بأشكالهم وأجناسهم المختلفة"، وكان لباسهم العمائم والثياب القصيرة، ويتكلّمون بالعربية الفصحى. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٢). وكان الطلاب يدرسون فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، وكتب الحديث ومصطلحاته، واللغة العربية، وكانوا يحفظون القرآن الكريم. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٥- ٢٦). وتحدّث عن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي إبّان تلقيه العلم على يديه، فوصفه عالماً، خلوقاً، وأنّه كان "إلى القِصَرِ أقرب منه إلى الطول، ووجهه أبيض مشرب بحمرة، وعليه نور أهل الحق، وضياء أهل الصدق، وقد أضفى الله له من الجلالة في القلوب والاحترام ما يعجز القلم عن وصفه". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٦). وقد أثّر هذا الشيخ ومدرسته في شيعة أهل اليمن أيّما تأثير، إذ تخرّج فيها عدد كبير من الطلاب، وانبثوا في ديار اليمن، ومنها بلاد خولان، يقول الرازحي معبراً عن أثر الخريجين في هذه البلاد: "هذه البلاد التي كان قد منّ الله عليها بنزول طلبة علم من دار الحديث بدماج،

سيرة أبي الحسن...

يدعونهم إلى الله– سبحانه وتعالى– فاستجاب لهم أهل تلك البلاد فتمسكوا بالسنة، ونبذوا البدع، وطبّقوا بالسنن حتى إنّهم كانوا يؤذنون من مزارعهم كل صلاة في وقتها، وذلك إذا كانوا في أعمالهم، وهي تبعد عن المساجد بكثير، وقد شاع خبرهم ذلك اليوم، وذاع وملأ الطروس والأسماع، بأنّ أهل خولان قد أصبحوا وهابيين". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤). وكان بعض أهله قد سبقوه متأثرين بفكر هذه الدار، ومنهم خاله، وأخوه عيضة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤– ٢١).

ثالثاً– الخصائص الفنيّة لسيرة الرّازحي:

تتميّز سيرة الرازحي بمجموعة من الخصائص الفنية التي تظهر كاتبها على مسرح الحياة مؤثراً ومتأثراً، وتجعل نصّه من الأدب الواقعيّ بامتياز، ويمكن إجمالها في الآتي:

- **نوع السّيرة:**

تصنّف هذه السيرة ضمن السير التحليلية، ذلك أن كاتبها صوّر تجربته وحياته في الفكر الشيعي ثم انتقاله إلى عقيدة السنة، صحيح أنه قدم نفسه طفلاً صغيراً يسعى إلى معرفة العلوم والتبحر فيها، ولا يجد من يسنده في ذلك الوقت، يقول: "أذكر يوم أن كنت صغيراً في أوساط مجتمع مكتظ بالمعاصي والبدع، وفي بداية حياتي ونعومة أظافري... ولكن، إلى من أتّجه ليعلّمني؟!". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠)، وقدّم نفسه حين دخل المدرسة وعمره سبع سنوات، وبعد أن أنهى المراحل الدراسية الأولى الثلاث. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١١)، وبعض تجاربه في تلك الأعمار، ثم نظره في العقيدتين السنية والشيعية مدة ثماني سنوات. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص٢٠)، إلى أن التحق بدار الحديث بدماج وعمره حوالي ١٩ سنة" يوم الخميس ٧ شعبان ١٤١٦هـ ...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٢)، واعتنق عقيدة السنة والجماعة، وما تخلل هذا كله من مراجعات نفسية وحيرة. ولكن عرضه لهذه الحقب الزمنية من عمره لا يعني خروج سيرته عن دائرة التحليل، فكل تجاربه فيها تمرّ في بوتقة النظر والتجربة والتفكير والمعايشة والتحليل لمرحلة في حياته وهي الانتقال من التشيع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، حتى قرّر أخيراً وجهته النهائية التي أراد أن يثني عليها، ويحث الأجيال على تبنيها، وترك ما سواها، وعدّها نعمة لا تعدلها نعمة، ولهذا كرّر الثناء على هذه النعمة في بداية سيرته ونهايتها، فمن ذلك قوله: "اللهم ارزقني على ملازمة الحق والصواب في القول والعمل"،

وقوله: "ربّي لك الحمد كما هديتني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٦- ٢٧).

أ- الحقيقة:

سعى الرازحي إلى الحقيقة في سيرته، ومن هنا استخدم وسائل فنيّة لإقناع المتلقين بذلك، ومنها: كثرة تكرار ضمير المتكلم الدال على المشاركة والمشاهدة والتجربة الذاتية، وهذا واضح جلي على مدار سيرته من بدايتها إلى نهايتها، ولا تحتاج إلى دليل أو برهان عليها. فالمعلومات التي قدّمها لا تخرج عمّا جرّبه أو رآه في مجتمعه، وفي دار الحديث بدمّاج، فهي أخبار واقعية، لا ضرب من الخيال، وشخصياتها ابتداء من خاله فأخيه فالشيخ مقبل بن هادي الوادعي شخصيات كانت على مسرح الحياة معه، خالطها وتأثر بها.

وتجلّى حرصه على الحقيقة في ذكره مصادر معلوماته، ومنها الذاكرة إذ أكثر من تكرار عبارة "أذكر"، في إشارة إلى أنّه سيثبت في سيرته الأشياء التي ما زالت عالقة في ذاكرته دون غيرها، ما يجعل المتلقي يطمئن أكثر إلى صدق ما يقول، ويبدو ذلك في قوله متحدثاً عن مدرّسه: "وأذكر أنني أخطأت في قراءة آية فضربني في رأسي". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص١١)، وقوله: "فمّما أذكره من نتائج ما قد حصلناه من التشدّد...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، وقوله متحدثاً عن حلم رآه: "وهذا الذي أذكره الآن من الحلم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، وفي هذه العبارة دلالة واضحة على حرصه على تقديم ما يتذكّر دون غيره كي لا يقع في الكذب أو التزوير، ومثل ذلك يتجلّى في قوله: "فمن الأمور التي ما زلت أذكرها...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤)، ومنها قوله في سياق حديثه عن تشدده في التشيّع: "وممّا أذكره عن نفسي مّما كنت قد استفدته منهم أنّني في الصف الرابع الابتدائي تقدّمت بكل شجاعة في الإذاعة المدرسيّة، وألقيت حديثاً لا سند له عن النبي- صلى الله عليه وسلّم- وهو "نهى رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلّم- أن يجعل الرجل يده على يده

في صدره في الصلاة، وأمر أن يرسلهما". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٧)، ولمزيد من الأمثلة انظر ص ١٤، ١٦).

وهناك مصدر آخر وهو السماع، الذي اتكأ عليه في نقل معلومات أوردها في سيرته، فمن ذلك: المعلومات التي سمعها من خاله عن تحوّل كثير من أهل خولان من التشيّع إلى مذهب السنة والجماعة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤)، وما سمعه من المدرسين وشيعة مجتمعه من عقائد وأفكار تبغض أهل السنة، وتشتم الصحابة– رضوان الله عليهم– وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر"، وهكذا بقيتهم بلسان الحال أو لسان المقال". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، ومنه ما رواه من وجهة نظر عن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فقد سمع الناس يتلفظون بها: "وقالوا: "رجل خرج إلى اليمن ليغيّر الدين". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٥)، ويتجلّى السماع في ما رواه عن فتوى صلاح فليتة بحق المتأثرين بدار الحديث بدمّاج: وممّا ذُكر لي عن ذلك الأمر أنّ صلاح فليتة...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٦).

ومن الأساليب التي لجأ إليها في توخي الحقيقة اعتماده على الملاحظة العقلية والواقعيةّ أو المقارنة الفكرية، فمن أمثلة ذلك تلك المقارنة التي عقدها بين مذهب الشيعة وبين عقيدة السنة والجماعة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨– ٢٠)، وتجلّى ذلك حين قارن بين ما رآه من سلوك الطلاب في دار الحديث بدمّاج حين كانوا يصلون بالنعال، وبين ما ورد في بعض كتب التشيع، فقد تعلّم في مدارس الشيعة أنّ الصلاة بالنعال غير جائزة، ولكنه بعد أن قارن بين أقوالهم وبين ما رآه من مذهب السنة، وما ورد في بعض كتب الشيعة، وصل إلى جواز الصلاة بالنعل عند كلا المذهبين، وأن ما يشيع في مجتمعه لا أساس له، فمن ذلك قوله: "ثمّ وقفت على كتاب "فتاوي علي العجزي"، وكنت أعرفه وأنا ما زلت في البلاد، إلا أنني آنذاك لم أقف على هذه الفتوى التي وردت صفحة ١٢١، باب فاخلع نعليك، وإذا به هناك يقرّر الصلاة في النعال، ويدعمها بالأدلّة، ويذكر أنّ ذلك مذهب أهل البيت... فعلمتُ صدق أهل السنة والجماعة، وعملهم بالسنن، وكذب الشيعة ومخالفتهم للحق واتّباعهم للهوى". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٣– ٢٤).

ومن وسائله أنّه يذكر في سياق حديثه عن بعض الفتاوي أو الأحكام التي صدرت من قضاة بعض الشيعة باليمن وفقهائهم، وتقضي بعقوبة من انضوى تحت لواء السنة في دار الحديث بدماج، يذكر أنّه يمتلك هذه الفتاوي، ليؤكد للمتلقي حقيقة ما يقول، كما يبدو في قوله: "وصورة الحكم عندي بخطّ ذلك القاضي". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٦)، وقوله: "وصورة تلك الورقة عندي بتواقيعهم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٦).

ب- الصّدق والصّراحة:

يكاد كتاب السيرة الذاتية ونقادها يتفقون على أنّ الصدق فيها يظل محاولة، يسعى الكاتب إلى تجسيدها، لعوامل متعددة، ومنها النسيان، أو تزوير حقائق لغايات ذاتية، وغير ذلك، ومن هنا جرى العرف عند الكتاب أن يضعوا ميثاقاً بينهم وبين المتلقين، يشعرهم بنيتهم الصادقة في نقل أخبارهم وتجاربهم، وتفصيلات حياتهم، لعل القارئ يفيد منها ويستفيد، وهو ما فعله الرازحي حين ذكر في مقدمة سيرته إذ قال: "وفي هذه المقدمة أحب أن أضع نقاطاً عايشتها...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠)، وهو ما ختم به سيرته فقال: "ولتعلم أنّ ما نقلته لك في هذه الرسالة... كان عن علم بحقيقتهم، ودراسة علمية لمنهجهم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٨). وتنبّه الرازحي إلى أن بعد المسافة الزمنية بين الحدث وكتابته قد تؤدي إلى تغيير الحقيقة أو نقلها على غير صورتها، ولذلك كرّر في غير موضع أنّه اقتصر على سرد ما يذكره من الحادثة أو الخبر[٨]. ثم إن المعلومات التي قدّمها عن حياته في ظل المذهب الشيعي، ومن حديثه عن أفكار الشيعة، أو مدرسيهم ومدارسهم، ومناهجهم، وموقفهم من أهل السنة، هو معلوم بالضرورة عند كلّ من قرأ الشيعة أو خالطهم، ومثل ذلك يقال عن السنة وفكرهم، ودور دار الحديث بدمّاج في الترويج للمذهب السنيّ، وكانت المعلومات التي قدّمها من وحي شخصيات عاصرها وكانت قريبة منه، مثل خاله أو أخيه عيضة، أو المدرسين الذين درّسوه، هذا إضافة إلى واقعه الشخصي الذي هو الأساس في ذلك كلّه، وتجاربه في الميدان المذهبي، وهي معلومات تبعد أن يكون الكاتب قد كذب، أو سعى إلى الكذب، ويؤكد ذلك أنّه لم

[٨]- فصّل الحديث عن ذلك في العنوان السابق " الحقيقة ".

يهتم بتجميل ذاته، أو إبرازها في صورة مثالية، بل قدّم لنا نفسه على مسرح الحياة مؤثراً ومتأثراً بكل صدق وصراحة، وقدم للمتلقي صورته السلبية حين كان متعصباً، وحانقاً على أهل السنة والجماعة إبّان اعتناقه المذهب الشيعي، ولم يتردد في نقل مشاعره تلك، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها حديثه عن أثر المدارس الصيفية في نفسه: "فأصبحتُ أكره أهل السنّة، وأبغضهم بغضاً لا يعادله شيء". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، وقوله: "والحاصل من ذلك أنّها انتهت تلك الفترة الصيفية وقد أصبحتُ شيعياً محترفاً مبغضاً للصحابة كافّة سوى علي بن أبي طالب...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣، ومن الأمور الدالة على صدقه وصراحته حديثُهُ عن معاملته مع خاله الذي التزم مذهب السنة والجماعة، وجاء لزيارتهم، ولم يعجب الرازحي ذلك، فيقول: "وفي أثناء تلك الزيارة عاملته معاملة، استغفر الله منها، فكنتُ أجلس إليه بعد الظهر فإنّي كنت أصلّي الظهر والعصر جميعاً، وأتناوله بكلام جلف وقاس، وأذكر له أشياء قد رسخت في ذهني أثناء تلك الفترة الصيفية، من أخذهم للخلافة، ونحو ذلك من العقائد". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤). وليس سهلاً على الإنسان أن يذكر مثل هذه المعلومات عن نفسه إلا إذا كان راغباً في تقديم الصدق الواقعي والنفسي، وفي عرض أحاسيسه على مسرح الحياة في تلك الحقبة من حياته، وبخاصة وأنه يذكر أن موقفه كان عنيفاً من خاله، الذي ما زال يذكّره بذلك حتى اليوم كما يعبر الرازحي. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٥). ويذكر في سيرته أن هذا التشدد كان له آثاره السلبية في علاقته بأهل السنة والجماعة في مجتمعه، فيقول مصرّحاً بذلك: "وفي تلك الفترة كلّها كان لا يواصلني أحد من أهل السنّة، لأنني قد عرفت بينهم بالتشدّد والتعصّب لما أنا عليه من التشيّع والبغض لهم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠).

ومن الأساليب التي تكشف صدق كاتب السيرة الذاتية من كذبه الرجوع إلى مصادر أخرى عن حياته أو عن الشخصيات والأحداث التي تناولها في سيرته، فعادة ما يكون هؤلاء من المشهورين الذين كتب عنهم التاريخ، فيتحرى الناقد صدقه من خلال تلك المصادر". ومن هذا التحرّي نحاول الحكم على نيّة الكاتب". (فيليب لوجون، ١٩٨٤، ص ٢٩– ٣٠). وإذا أجرينا مقارنة سريعة بين ما ذكره الرازحي في سيرته وبين بعض الكتب والمصادر التي تناولت شخصيات وأحداثاً ذكرها في سيرته، يتضح حرص الكاتب على توخي الصّدق فيها، وهذه بعض الأمثلة المقارنة:

١- تحدّث الرّازحيّ في سيرته عن أنّ أحد فقهاء الشيعة، وهو صلاح فليته، كان يقود حملة ضد الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ومن اتبعوه من شيعة اليمن، حتى أصدر الفتاوي بقتلهم أو حبسهم أو تفريقهم عن نسائهم، وهذا الموقف المتشدّد يذكره بعض من ترجموا للوادعي، فهذا أبو الأشبال المصري يؤكد ذلك حين سرد ما جرى للشيخ الوادعي في مسجد الهادي باليمن بعد أن كان منع من الخطابة وإعطاء الدروس هناك، فيقول: "وما إن انتهى المصلون من صلاة الجمعة، وإذا الشيخ (الوادعي) يأخذ عصاه ويقف بكل شجاعة وقوّة جأش، ويبدأ الكلام والناس يملؤون المسجد من قبائل شتى، فقام رجل شقي من الشيعة يقال له صلاح فليته، وأثار الفتنة، وحرّض الناس على الشيخ، فانقلب المسجد كالسيل العرمرم على الشيخ، منهم المتفرّج على الشيخ، ومنهم وهم الأكثر الأغلب يريدون أن يفتكوا بالشيخ". (أبو الأشبال المصري، ٢٠٠٦م، ص ٢٦٢). وقد وصف تلميذه البيضاني عداوة الناس له في السيرة التي كتبها لأستاذه الوادعي، فقال: "وعندما وصل هذا العالم الجليل، والمجاهد النبيل إلى بلده، أخذ يدرّس الناس في قريته الأولاد القرآن الكريم، وتكالبت عليه الدنيا، كأنه خرج لخراب البلاد، كيف لا وأهل الرفض يحيطون به من كل جانب، ويرون أنّه ممّن بدّل دينه، وأنّه إمّا أن يرجع عن عقيدته وإمّا يُقتل". (أم عبد الله الوادعي، د. ت، ص ١٩). وبيّن تلميذه محاولات أعدائه المتكررة لاغتياله، والاعتداء على طلبته. (أبو الأشبال المصري، ٢٠٠٦، ص ٦١- ٦٢).

٢- ذكر الرّازحي في سيرته أنّ منهج الشيخ الوادعي ومدرسته قد ذاع صيتها في بلاد اليمن، وأضحى لها أتباع وكارهون كثر. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤)، وهو ما أكده أبو الأشبال في ترجمة الوادعي في قوله: "وشاع أمر الشيخ بين القبائل ما بين مؤيد، وما بين ناقم وهم الكثير". (أبو الأشبال المصري، ٢٠٠٦، ص ٢٦٣). وأكّد هذه الشهرة تلميذه البيضاني إذ ذكر توافد طلاب العلم على الوادعي ودار الحديث من شتى أنحاء العالم من "مصر، والكويت، وأرض الحرمين، ونجد، وليبيا، والجزائر، والمغرب، وتركيا، وبريطانيا، وأمريكا، والصومال، وبلجيكا، ومن جميع البلاد اليمنية". (أبو الأشبال المصري، ٢٠٠٦، ص ٢١)، وأشار في موضع آخر إلى أثر الدار في

اليمنيين، فقال: "سمعت رجلاً من أهل دمّاج وأنا راكب في سيارة أثناء ذهابي إلى صعدة يقول: لقد حرّرنا الشيخ مقبل". (أبو الأشبال المصري، ٢٠٠٦، ص ٢٠).

٣- بيّن الرّازحي في سيرته أنّ أوّل ما لفت انتباهه في دار الحديث بدمّاج هو عادة صلاة الشيخ والطلاب بالنعال، يقول: "استغربت أشياء عند وصولي إلى دار الحديث بدمّاج أولها الصلاة بالنعال". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٣)، وهذا كلام دقيق، فقد ورد في بعض المصادر أنّ الشيخ الوادعي كان حريصاً على تطبيق هذه السنة، يقول أبو الأشبال عنه: "فلم تر عيني رجلاً قط أحرص منه على السنن، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أعظمها حرصه على إحياء سنة الصلاة بالنعال، فلا أعلم مسجداً بالبلاد اليمنية بل في العالم يُصلّى فيه بالنعال كل الفروض إلا مسجده، وكم كنتُ أسمعه وهو يقول لطلابه: صلّوا يا أبنائي في النعال، فإنكم لا تستطيعون أن تصلّوا بها في غير هذا المكان". (أم عبد الله الوادعي، د. ت، ص ٢١٨)، وللشيخ كتاب "شرعية الصلاة بالنعال".

٤- أمّا دار الحديث بدمّاج، فقد أشار الرازحي إلى كثرة طلابها، وتنوّع جنسياتهم، وتحدّث عن العلوم المتنوعة التي تُدّرس فيها من قرآن وحديث وعلوم عربية، وهو ذاته ما نصّت عليه الكتب التي تناولت هذه الدار ونشأتها.

ت- الموضوعيّة:

الموضوعيّة سمة مثاليّة قد لا توجد في الإنسان على أرض الواقع، ذلك أنه لا يستطيع أن ينفصل عن ذاته، وعن لا شعوره، وما يكتنفه من قيم وأفكار يصعب انفصالها عن قراراته وأحكامه، وتوجهاته في الحياة. (ماهر فهمي، ١٩٨٣، ص ٥٨، ٢٥٣ عبد العزيز شرف، ١٩٩٢، ص ٦، يحيى عبد الدايم، د. ت، ص ١١، علي فهمي، ١٩٩٦، ص ١٦٤، إحسان عباس، د. ت، ص٢٥). وفي الحقيقة لا يطلب من الإنسان أن ينفصل عن فكره أو قناعاته، ولكن عليه أن يبني رأيه وفق قناعات منطقية عايشها أو آمن بها، ولا يكون الأمر جزافاً، أو تحيّزاً غير مبني على رأي أو منطق.

وهكذا كان أبو الحسن الرازحي في سيرته متحيّزاً لفكرة تبناها، وكان موضوعياً في الحكم على تجربة حياة عايشها، أو اختلط بأصحابها، ومن هنا كان رأيه مبنيّاً على قناعاته في كل مرحلة من

مراحل حياته، وكان نتاج أفكار تشرّبها، وسرت في عقله وقلبه، ولكنّ الموضوعية عنده بدت في عدم شتمه أشخاصاً فكرهم غاير فكره، واكتفى بوصف ما هم عليه دون أن يجرحهم، وهذا أمر طبيعي؛ لأنّه كره التشيّع أصلاً لما فيه من سب وقدح وشتم، فكيف يريد أن يمارس سلوكاً لفظه وانتقد أصحابه؟!

وأكثر ما تجلّى تحيّز الكاتب في وصفه ذاته في مراحلها الأولى حين كان متشيعاً، وحين وصف ما كان يدور في مجتمعه من أفكار ومواقف، فقد صوّر الرازحي نفسه متشدّداً، ويبغض أهل السنة والجماعة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣– ١٤)، وحين تحدّث عن موقفه من خاله لمّا تحوّل إلى عقيدة السنة والجماعة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤)، وإن بدا الكاتب متحيّزاً لفكره الشيعيّ هنا إلا أنّه موضوعي في حديثه عن ذاته، وصادق في وصفها، وتبلورت موضوعيته بجلاء حين بدأ يتغير، ويجري مقارنات سلوكية وفكرية بين المذهبين الشيعي والسنيّ، كما يبدو في قوله: "أننا نحن الشيعة نسب الصحابة، ونقدح في حملة الدين، وأنصار سيد المرسلين. أمّا أهل السنة، فيترضون عنهم جميعاً، ويقولون: نحن لا نسبُّ أحداً من أهل البيت...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨). وبدت موضوعيته في حديثه عن أبناء مجتمعه من الشيعة وعلاقتهم بالسنة، ونظرتهم إليهم: "بل شاع بيننا نحن الصغار أنّ أحدنا إذا سبَّ أحد أهل السنة فإنه يقول له جزاك الله خيراً، ويعرضُ عنه، ونجعل نسخر من ذلك ونضحك، ونقول: هذا جَبُن لماذا لا يجيب؟!". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٩، وانظر ص ٢٠). فهو موضوعي في وصفه ذاته، وموضوعي في وصفه أهل السنة في تلك المرحلة من حياته، حتى بلغ به الأمر إلى مراجعة الذات في الفكر الشيعي، وبداية كرهه مجتمعه، فيقول: "وكلّما نظرتُ إلى أفعالنا نحن الشيعة أبغضتها وكرهتها لما أرى فيها من مخالفة الحقّ والصواب". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠). فأحكامه لم تكن عشوائية، بل كانت منسجمة مع حياته وعمره ونضجه ووعيه الاجتماعي والفكري. فالتحيّز كان له أسبابه ثم الموضوعية نتجت عن تغيّر، وتبدّل القناعات. وتجلّت موضوعيته في هذه المرحلة حين حدث جدلٌ بينه وبين فقيه شيعي في شخصية معاوية بن أبي سفيان وغير ذلك إذ قال: "وأذكر أنني بعد أن وفّقني الله لطلب العلم، تناقشتُ مع

سيرة أبي الحسن...

بعض من كنت أقرأ أنا وهو في الكتب تلك، وهو يُعدّ من أكابرهم، فألجمته بالحقّ حتى قال لي أخيراً: معاوية كافرٌ، فزجرتُه، ولم أكلمهُ من ذلك اليوم إلى يومنا، ولم أضع يدي في يده، والله يشهد أنّي أبغضه في الله". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٤). وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الموقف كان قبل اعتناقه مذهب السنة والجماعة، ما يؤكّد جنوح الكاتب إلى الموضوعية في تلك المرحلة من حياته. وبدت موضوعيته في موقفه من الفتاوي التي كان يصدرها فقهاء مجتمعه ومفتوه بحق الذين تحوّلوا إلى مذهب السنة والجماعة، فيقول: "إلى غير ذلك من الفتاوي المضلّة التي حكايتها تغني عن الرد عليها". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٧). وتجلّت موضوعيته في الحكم على الأمور في تلك المرحلة حين علّق على الشيعة الذين يصفون النحوي ابن هشام والبخاري ومسلم بأنهم وهابيّون، فقال: "وما عَلِمَ هؤلاء المغفلون أنّ محمد بن عبد الوهاب جاء بعد هؤلاء الأئمة بقرون متكاثرة، فبينه وبين ابن هشام ما يقارب ستة قرون". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٦). وظلّت أحكامه تتطوّر، وتُقدّم في سيرته بناء على كل مرحلة خطاها في حياته إلى أن وصل دار الحديث بدماج، فوصف بموضوعية طلابها وشيوخها ومناهجها. وقد يظنّ ظانٌّ بأن أوصاف الضلال والبدع والأهواء التي أطلقها على الشيعة في مقابل ألفاظ الحق والهدى والطريق القويم التي وسم بها أهل السنة، هي أوصاف تدل على التحيّز، وعدم الموضوعيّة، فيرد عليه بأنها صفات بناها على تجارب عايشها، وتطوّرت في عقله وفكره مع الزمن، وقدّمها للمتلقين ليرشدهم إلى طريق قويم ذاق حلاوته، ويبعدهم عن طريق ذاق مرارته وضلاله، فمن الطبيعي أن يصف ما آمن به من هذه الأوصاف، فيكون بذلك موضوعياً مع نفسه، ومع المتلقين، وصادقاً معهم في كل مرحلة من حياته.

ث- الصّراع ونجوى الذّات:

تتميّز السيَر الذاتية عن التاريخ العام أو السيَر الغيرية بما يضفيه عليها كاتبها من تاريخ نفسي، وصراع ونجوى ذات تجعلها تقترب من حياة الإنسان وسلوكه، فهي صورة صادقة للتاريخ إذ تنقسم إلى شقين: خارجي وداخلي. أمّا التاريخ والسير الغيرية، فما هي إلا وصف خارجي لحياة إنسان أو الأمم والشعوب والمجتمعات.

فالسير الذاتية أكثر صدقاً في التعبير عن الذات، فكاتبها يقدم فيها معلومات ربما لا يعرفها إلا هو عن نفسه لحظة التفكير، واتخاذ القرارات المصيرية، ولحظة الفرح والحزن، والحب والبغض، وكلّما كثر الصراع ونجوى الذات في السير الذاتية كان لها طعمٌ مميّز، ونكهة خاصة، وكانت أقرب إلى الواقع، فيحدث التكامل الذاتي إذ لا ينفصل فيها داخل الكاتب عن خارجه. (فيليب لوجون ١٩٨٤، ص ٢٢)، وهذا ما دعا إحسان عباس إلى القول: "القيمة الحقيقية في السيرة إنّما هي في الصراع، وفي مدى القوّة التي تمنحها القرّاء، وهي تقدّم لهم مثالاً حيّاً من أنفسهم". (إحسان عباس، د. ت، ٥٧)، وفي إعادة نفسه كما كان على مسرح الحياة. (مها العطار، ١٩٩٥، ص ٢٣٠).

لقد تجلّى الصراع ونجوى الذات في سيرة الرازحي في أعلى صوره، حين وصف نفسيته وتقلباتها في كل مرحلة من مراحل حياته الفكرية والمذهبية، وحين كان يعبّر عن وجهة نظره إبّان ذلك كلّه. فقد بدأ سيرته بوصف نفسه وهو صغير، وتشوّقها إلى طلب العلم، والصراع الذي واجهه إبّان ذلك، وبخاصة حين لم يجد المساند له في تلك المرحلة، فها هو يعبّر عن ذلك واصفاً صراعه النفسي: كنت "أذكر يوم أن كنت صغيراً في أوساط مجتمع مكتظ بالمعاصي والبدع... أحب المسجد وقراءة القرآن وأهل الخير والتعلّم، ولكن إلى من اتّجه ليعلّمني؟! ويأخذ بيدي إلى الخير؟! والدي عاميّ، وأخي الأكبر يكمل دراسته في صنعاء، فمن الذي أجده ليأخذ بهذا الاندفاع الذي أشعر به تجاه التعلّم" (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠). ويكشف في مواضع مختلفة نفسيته وما كان يدور فيها إبان تشيعه، ودراسته في مدارسهم، فهذا هو يعبّر عن موقفه النفسي من الكتب التي كان يدرسها في المدارس الصيفية في قريته، وفحواها ذم الصحابة، ما جعله يكره ذكر أسمائها، لما تحقق له فيها" من الضلال بعد ذلك". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢). وبدا الكاتب معبراً عن نفسه بجلاء في حديثه عن كرهه أهل السنة عقب تلقيه العلم على مدرسي الشيعة، حتى إنّه نقل للقارئ بعض أحلامه التي رآها تجسيداً لهذا الكره، كما يبدو في قوله: "فممّا أذكره من نتائج ما قد حصّلناه من التشدّد في بغض الصحابة، المخالفة لأهل السنّة: أنني رأيت في المنام– أثناء تلك الفترة– كأنني في المسجد، وشبح أمامي يصلّي، وعليه جبّة مكتوب عليها الهادي، عليه السلام، وإذا بمعاوية– صلّى الله عليه وسلّم–

ينظر من باب المسجد، وكأنه كان متقلداً للسيف". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣). وهذا يدل دلالة قاطعة على قوّة تأثير الدروس التي كان يسمعها من مدرسي الشيعة، وتهاجم بعض الصحابة، وبخاصة بني أميّة، وهو ما يؤكده قوله مصوّراً ما في نفسه ونفوس من كانوا يتلقون العلم معه تجاه الصحابة: "كنا نشعر ببغضهم بداية بأبي بكر الصديق...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، ثمّ يصوّر صراعه النفسي، وما كان يدور في خاطره في المرحلة الانتقالية ما بين المذهبين، إذ نقل في صفحتين ما كان يلاحظه ويدور في خلده من فوارق بين فكر الشيعة والسنة وسلوكهم. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨– ٢٠)، هذه الفوارق التي جعلت نفسه تبغض ما كان عليه أهل مجتمعه من الشيعة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠)، في حين كان يحب ما عليه السنة، ويتجلى ذلك في قوله: "وكلّما نظرتُ إلى أهل السنة أحببتُ أفعالهم ورضيتها، لما أرى فيها من الأمور التي تؤدي إلى مقاصد الشريعة...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠). ونقل الرازحي ما في نفسه في هذه المرحلة حين كان يرى أهل السنة يبغضونه لتشدده، وتطاوله عليهم فيما مضى، فيقول: "وما علموا أنّي ضقت ذرعاً بما أنا فيه، وأنني أصبحتُ أحبّ الكلمة الواحدة من عند أهل الحق لعلّي أهتدي بها إلى الصواب". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢١). ويستمر الكاتب في تصوير صراعه النفسيّ. ورغبته في الخلاص من واقعه الضال "وأمّا أنا، فبقيت متحيّراً". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢١)، إلى أن التحق بدار الحديث بدمّاج. وهناك يعبّر الكاتب عن نفسه حين كان في مواجهة مع المدرسة، فحين وصلها كان متفاجئاً من عدد طلابها، وتنوّع جنسياتهم، وذكّره لباسهم صحابة رسول الله– صلى الله عليه وسلّم– (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٢). ثم كشف عن الصورة التي كان يحملها في نفسه عن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي قبل أن يراه إذ قال: "وكنتُ أظنه في نفسي طويل القامة عريض المنكبين، كثيف اللحية، فوجدته خلاف ذلك". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٢– ٢٣). ثم وصف الصراع الذي دار في نفسه حين رأى طلاب دار الحديث يصلّون بالنعال، فقال: "قلت: كيف هذا؟! يُصلّى بالنعال؟! وفي قرارة نفسي أن مثل هذا من هذا المجتمع الطيب الذي يهوي إليه العباد من كل قطر ومصر لا يصدر إلا عن علم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢١). وظلّ هذا الصراع في نفسه حتى تبينت له الحقيقة، وهي صدق هذا التوجه أي الصلاة بالنعال، وهو ما تقره السنة، وكتب الشيعة الأم

على السواء. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٣- ٢٤). وصوّر في موضع آخر نفسه وهي تجري مقارنات بين ما كان يدرسه في مدارس الشيعة عن صفات الله، وبين ما يقال عنها في دار الحديث حتى تيقّن بطلان توجّه الشيعة، وصدق ما يقوله أهل السنة؛ لأن ملخص ما يدرسه الشيعة- على حد قوله- نفي لوجود الله وجعله عدماً. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٤- ٢٥). وهكذا ظل في صراع ونجوى ومقارنات نفسية بين مذهبين حتى اهتدى إلى طريق الصواب، واعتنق مذهب أهل السنة والجماعة.

ج- النّموّ والتّطوّر والتّغيّر:

من السمات الأساسية للإنسان على هذه البسيطة النمو والتطوّر والتغير، فهو يبدأ صغيراً، ثم يكبر ويتغيّر فكره، ويتأثر بالمحيط حوله حسب الظروف التي عايشها، حتى يشب رجلاً له وجهته في الحياة، ويكون حجم التغيّر والتبدل في حياته وسلوكه تبعاً للمؤثرات التي يواجهها، وتختلف تجربة كل إنسان عن الآخر، ومن هنا كان من الضروري لكاتب السيرة الذاتية أن يتابع تدرج شخصيته التاريخي "وأن يلحظ بدقة تأثير الأحداث في الخارج والداخل على نفسية صاحبها". (إحسان عباس، د. ت، ص ٧٧، ماهر فهمي، ١٩٨٣، فيليب لوجون، ١٩٨٤، ص ١٧ ٢٥١، ٣١٨، يحيى عبد الدايم، د. ت، ص ٥ ، رائد عبد الرحيم، ٢٠٠٤، ص ٣٥٣)، كي ينقل للمتلقين معالم هذا التطور والتغيّر كي يفيدوا منه. تعدّ سيرة الرازحي مثالاً واضحاً على عظم التطوّر والتغير الذي طرأ على شخصيته وفكره منذ أن كان طفلاً حتى شب واستوى على سوقه، فقد قدّم نفسه طفلاً صغيراً يعيش في أسرة بسيطة، له أب وأم غير متعلمين، وذكر ثلاثة إخوة غيره، منهم أخ كان يدرس في صنعاء تحوّل إلى المذهب السني، وأثر بأخويه الآخرين، وذكر أنّ له خالاً، مضى على ذلك الدرب في اعتناق فكر السنة والجماعة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠، ١٤، ١٧، ١٨).

تحدّث الرازحي عن بداية تلقيه العلم منذ سنّ السابعة حين بدأ دراسته في مدارس قريته، التي كانت تفتح ثمانية أشهر، وكان إلى ذلك الوقت لا يعرف القراءة والكتابة، وبيّن أنّه منذ نعومة أظافره كان متشوقا لطلب العلم. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١١)، ولكنّه لم يجد المعين له على ذلك؛ لأن

والده عاميٌّ، وأخوه كان بعيداً عنه يتلقّى علمه في صنعاء. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠)، ويبيّن الكاتب أنّه خلال ثلاث سنوات من دراسته في المدرسة الحكومية لم يحقق مطلوبه في الكتابة، أو القراءة في المصحف، فاضطر إلى البحث عمّن يعينه على ذلك، حتى دلّوه على رجل أعمى، كان يعمل في مزرعة، وراح يصف تجربته تلك، فقال: "فجئت إليه فوجدته يمدّ أنابيب المياه، تسمّى عندنا مواصير، يريد أن يوصل الماء ليسقي القات حتى يأكل منه ويبيع، فعلمتُ أنّه قليل خير، فكمل عمله، ثمّ أخذنا إلى بيته، وكان يكلّمنا بعنف، فدرسنا بعض الآيات من السور الصغيرة، وأذكر أنني أخطأت في قراءة آية فضربني في رأسي، فآلمتني تلك الضربة أيّما ألم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١١)، ثم راح الرازحي يسرد المؤثرات في حياته، التي كان لها دور كبير في عقله وفكره، وهي الآتي:

١- المدارس الصّيفيّة:

وهي المدارس التي كان يفتحها الشيعة في شهور الصيف، لتدرس المذهب الشيعي، فتلقى فيها فكرهم، وقد بيّن الكاتب عظم تأثير هذه المدارس في حياته، فهي التي جعلته شيعياً متزمّتاً، وأدخلت إلى نفسه بغض أهل السنة، وجعلته يعاديهم أيما معاداة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢- ١٣). يقول معبراً عن ذلك: "وما ذلك إلا بسبب ما قد مُلئت به قلوبنا من البغض للصحابة والتعظيم لمن على نحلة الشيعة حتى وإن كانوا فسّاقاً مستحلين لأموال الناس بغير حق". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، ويقول متحدثاً عن تلك المرحلة: "والحاصل من ذلك أنّه انتهت تلك الفترة الصيفية، وقد أصبحت شيعيّا محترفاً مبغضاً للصحابة كافة، سوى علي بن أبي طالب وأهل بيته، رضوان الله عليهم، ونفر يسير كعمار بن ياسر وسلمان الفارسي، رضي الله عنهما". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣). وهذا التشدّد هو الذي كانوا يدعوه وأولاد بلدته الصغار إلى السخرية من أهل السنة في منطقته، ومن ثمّ شتمه خاله بأقذع الشتائم حين علم ميله إلى أهل السنة، وإلى أولئك الذين اعتنقوا الفكر السنيّ في دار الحديث بدمّاج. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص١٤، ١٥، ١٩). ودفعه التشدّد إلى الاعتقاد بأن الذين تأثروا بفكر الشيخ مقبل بن هادي الوادعي "قد خالفوا الدين، وصاروا في عداد الكافرين". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٦).

أ- ومن المؤثرات العظيمة في حياته أخوه عيضة، الذي عاد إليهم في عطلة سنوية من دراسته في صنعاء، وقد اعتنق الفكر السني، وقد عبّر الرازحي عن حبّه لأخيه، وعن شخصيته المؤثرة إذ قال: "وكنت أحبّه أيّما حبّ، وكان لديه أسلوب عجيب في جلب القلوب والأسماع في المجالس وغيرها، حتى إنّه كان إذا دخل المجلس كان الكلام له، والسؤال موجّه إليه بالرغم من أنّ الجميع شيعة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨)، هذا الأخ الذي كان يأخذ الرازحي معه أينما ذهب، استطاع أن يؤثر باثنين من إخوته تأثيراً كاملاً، وأن يقلّل من تعصّب الرازحي وتشدّده، كما يبدو في قوله: "فلم يألُ جهداً في توجيهي إلى الصواب، وتبيين الحق لي، واستطاع فعلاً أن يغيّر من نظرتي المتعصبة المتشددة للباطل إلى نظرة متوسطة"، ولكن التغير النهائي كان صعباً عليه على الرغم من حبّه لأخيه. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨). وجملة القول: إن الرازحي بدأ يغيّر وجهة نظره إلى الأشياء، فراح بكل موضوعية يقارن بين مجتمعين وفكرين الشيعة والسنة، واستمر ذلك أكثر من ثماني سنوات حتى توصّل إلى فوارق كثيرة ترجح صواب ما عليه السنة وبطلان ما عليه المجتمع الشيعي وفكره. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٠)، حتى إنّه ضاق ذرعاً بفكره وحياته، وصار راغباً بالبحث عن الصواب والحقيقة أكثر، إلى أن تخرّج أخوه عيضة وعاد إلى قريته، وصار يحثّه وينصحه بمواصلة دراسته للتخلص من مجتمعه، ولكن واجهته مشكلة أن والديه كانا غير راغبين بخروجه من قريته، إذ عدّوا ذلك ضياعاً، ولكنّ أخاه خيّره بين ثلاث: إكمال مدرسته التي انقطع عنها منذ الثالثة من المرحلة الإعدادية، أو الاستمرار في عمله وهو نحت الأحجار، أو الذهاب لدار الحديث بدماج، ليكمل فيها العلم الشرعي، وتكون تكاليف دراسته عليه، فاختار الرازحي الثالثة، وهي الخطوة الأخيرة التي سبقت تغيره النهائي. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص٢١- ٢٢).

ب- دار الحديث بدمّاج:

كان لهذه الخطوة أثرها الكبير في انقلاب حاله وتغيّر حياته، إذ توجه إلى دار الحديث في دمّاج، وعمره ١٩ عاماً. يقول: "وصلنا إلى صعدة يوم الخميس ٧ شعبان ١٤١٦هـ، ونزلنا إلى دماج يوم الجمعة ٨ شعبان ١٤١٦هـ". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٣)، وهناك راح يتلقى العلم على يدي الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي، فحفظ القرآن، ودرس الحديث والعربية، وراح يقارن بين حال التدريس في الدار وبين ما كان يتلقاه في مجتمعه، فعرف مدى تعصب مجتمعه، وتسامح المجتمع الجديد وما هو عليه من حق وصواب حتى تغيّر فكره، واعتنق مذهب أهل السنة والجماعة، يقول واصفاً أثر دراسته في دار الحديث بدمّاج: "فعلمت صدق أهل السنة، وعملهم بالسنن، وكذب الشيعة ومخالفتهم للحق واتّباعهم الهوى". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٤)، وهذه المقارنات هي التي جعلته يكره أن يتذكر حاله ودراسته وهو في المجتمع الشيعي، وهو ما عبّر عنه في غير موضع، كما يبدو في قوله متحدثاً عن الكتب التي كان يدرسها في المدارس الصيفية: "حقيقة إنّني أكره أن أسمّي بعضها لما تحقّق لي فيها من الضلال. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٢)"، وكان هذا التحوّل من عظيم المنن التي منّها الله عليه على حد تعبيره" ربي لك الحمد والمنّة كما هديتني لما اختلف فيه من الحق". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٦)، ويقول: "وحقيقة إنّ نعمة الهداية لا يعادلها شيء، فهي فضل الله يؤتيه من يشاء". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٧) ، ومن هنا أحب الرازحي أن يقدّم تجربته هدية خالصة للباحثين عن الحق، وأن يقدم لهم خلاصة رأيه في ذلك.

ح- التّعليق:

إن التعليق والتعبير عن الرأي سمة مميّزة لحياة الإنسان، فهو في مسيرة حياته، لا بد له من التّعبير والتّعليق عمّا يدور في حياته، أو يراه في مجتمعه، وهذه الخصيصة في السيرة الذاتية تجعلها تقترب من الواقعيّة، فهي تقدّم صورة لكاتبها على مسرح الحياة، وتعبّر عن فكره وتوجهاته، من خلالها يحدد المتلقي معالم هذه الشخصية ونزعاتها. وقد حضر التعليق بجلاء في سيرة الرازحي سواء أكان التعليق خاصاً بذات الكاتب أم بمجتمعه وما فيه من سلوك وشخصيّات.

لقد علّق الكاتب على مجتمعه الشيعيّ الذي نشأ فيه على مدار سيرته، فهو مجتمع مكتظ بالمعاصي، وأهله أهل بدع وضلال. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠، ٢٠)، وبرز رأيه حين عبّر عن الهدف من افتتاح المدارس الصيفية، و"هو مسح ما قد استفاده طلاب المدارس من المنهج المدرسيّ لأنهم يسمونه وهابيّاً". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١١)، وجاء تعقيبه على المدرسين في تلك المدارس ومنهجهم في التدريس، إذا كانوا حريصين على تثبيت العقيدة الشيعية في النفوس، وغرس حب آل

البيت، وكره من سواهم من الصحابة. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٣)، وبيّن في موضع آخر أن الأحاديث التي كانوا يدرسونها "ضعيفة وموضوعة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٥). وعبّر عن رأيه في الفتاوي التي أصدرها قضاة وفقهاء شيعة بحق من اعتنقوا عقيدة أهل السنة في دار الحديث بدمّاج، وعدّها مضلّة "حكايتها تغني عن الرد عليها". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٧). وكثر التعليق في سيرته حين قرن بين المجتمع الشيعي والسني وأفكارهما، وقد أورد البحث آنفاً رأيه بمجتمعه الشيعي. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٢). أمّا المجتمع السنيّ، فوصف أناسه بأنهم لا يشتمون بعضهم بعضاً، فذلك محرم عندهم "وإذا سبّه أحد منّا نحن الشيعة أعرض عنه". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨)، وبيّن أن مجتمع السنة على عكس مجتمعه الشيعي فأبناؤه غير مؤمنين بالسحر والشعوذة والحروز والتمائم والعزائم، وهذه محرّمة عندهم، ويحذّرون منها؛ لأنها تؤدي إلى الاعتقاد بغير الله. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨)، وأهل السنة في رأيه يتجنبون الكذب، ويؤدون الصلوات على أوقاتها، وهم "متوادون، متحابون، متعاونون فيما بينهم". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٩– ٢٠). وهذه المقارنات جعلته يبدي رأيه بالفكرين والمذهبين إذ قال: "مذهب أهل السنة أسلم وأحسن". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٨). وتجلّى التعليق في وصفه شخصية أخيه، وقدرته على الإقناع، وجذب انتباه الآخرين، وفيما قدّمه من وصف لدار الحديث بدمّاج، وشخصية مؤسسها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، وما كان يدرسه في هذه الدار. ومن تعليقاته المهمة في سيرته، التي هي هدف من كتابتها، ما قاله عقب تجنب أهل السنة إياه حين كان يبغضهم ويكرههم "وما علموا بأنّي ضقت ذرعاً بما أنا فيه..."، "وانتهز هذه الفرصة لأوجه نصيحة إلى الدعاة إلى الله تعالى، بأن لا ييأسوا من أحد، بل يدعوا الجميع إلى الله، ويتلطفوا بهم، فمن أرحم الناس بالناس إلا أهل السنة". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢١).

خ– سمات أسلوبيّة أخرى:

تتميّز سيرة الرازحي بلغتها السهلة الفصيحة، وبالملاءمة بين الألفاظ والمعاني، فمن الأمثلة على ذلك أنّه حين أراد أن يقنع المتلقين بأفكاره التي تبناها، كان أسلوبه سلساً رقيقاً ممزوجاً بعاطفة

سيرة أبي الحسن...

جياشة، "أخي المحبّ، إنّي ما ذكرتُ لك هذه النماذج ممّا مرّ بي مع الشيعة ثم مع السنّة إلاّ لتعرف الفرق الشاسع بين أهل الهداية والضلالة...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٨)، وتجلّت هذه اللغة في محاولته تبرير انخراطه بالباطل في صغره، إذ لم يكن يجد المعين الذي يرشده إلى الطريق القويم: "إلى من اتّجه ليعلّمني؟! ويأخذ بيدي إلى الخير؟!". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٠). واعتمد الكاتب على ضمير المتكلّم في لغته وسرده دلالة على المشاركة في الأحداث ومعايشتها، وكرّر ضمير الجمع "نحن" في وصفه مجتمعه الشيعي، وما فيه من تجاوزات، وراوح أحياناً بين السلاسة والجزالة وبخاصة حين قارن بين السنة والشيعة، ولذلك دلالته الأسلوبية، فاللغة الجزلة جاءت في وصف الشيعة، واللغة العاطفية والسلسة في وصفه السنة، كما يبدو في قوله: "شبابنا نحن الشيعة يسبّ بعضهم بعضاً، ويشتم بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً". "أهل السنة شباباً وكباراً لا يسبّ بعضهم بعضاً ولا يشتم، بل ذلك محرّم عندهم...". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ١٩– ٢٠).

وبرز الأثر الديني في سيرته جلياً، وبدا ذلك فيما قدّمه من فكر شيعي وسنيّ على مدار سيرته، وفي تكراره ألفاظ الحق والباطل والبدع، وفي تكرار التحميد، وشكر الله والثناء عليه على ما منّ عليه من نعمة الإيمان والهداية. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٩، ١٠، ٢٦، ٢٧)، وأكثر الاقتباس من القرآن الكريم، فقد أكثر من إيراد الآيات القرآنية التي تدل على التحميد وشكر الله على ما وصل إليه من طريق الحق والصواب، وتلك التي تدل على دعوة الناس إلى البحث عن الحقيقة والاهتداء بها، وقد بدأ سيرته بهذه الآيات وختمها بها. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٩، ١٠، ٢٦، ٢٧).

وامتازت سيرته ببنائها الفني المتماسك، فقد بدأها بإيراد عدد من الآيات القرآنية المعبرة عن الهداية، وتمثل المرحلة التي وصل إليها واقتنع، وأكثر من حمد الله والثناء عليه على ما منّ عليه من اهتداء لطريق الحق والصواب "فله الحمد عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته". (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٩)، ثم ذكر أمّا بعد، ليعبر بذلك عن هدفه من كتابة سيرته الذاتية، وراح يتدرّج في حديثه عن حياته المذهبية منذ طفولته وما أثر فيها، ونتائج ذلك كلّه إلى أن بدأ يتغيّر فكره، متأثراً بأخيه وبما يراه من باطل في مجتمعه، وما تخلّل ذلك من حيرة وتردد ومقارنات إلى أن تمّ له في نهاية المطاف الالتحاق بدار الحديث بدمّاج، فدرس فيها، فغيّر فكره وحياته، وختم سيرته

بآيات التحميد وشكر الله على فضله لما هداه إليه من الحق، وختم سيرته موجهاً النصيحة للمتلقين لاتباع نهج السنة والجماعة، وهو خلاصة تجربته وما يصبو إليه. (الرازحي، ٢٠٠٧، ص ٢٧، ٢٨).

خاتمة:

بعد هذه الجولة في سيرة الرّازحيّ يمكن تسجيل النّتائج الآتية:

-تبيّن من دراستها أنها سيرة تحليلية مذهبية، هدف منها الكاتب تقديم تجربته في المذهب الشيعي في اليمن، ثم العوامل التي أثّرت في انتقاله إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

- تجلّى في الدراسة محاور متعددة، أهمها حديثه عن ذاته، وانتقاله من مذهب التشيع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم حديثه عن شيعة اليمن: مجتمعهم، ومدراسهم ومدرسيهم ومناهجهم، وموقفهم من أهل السنة، وتناول دار الحديث بدمّاج، فتحدث عن طلابها، وشيخها مقبل بن هادي الوادعي، وما يدرّس فيها.

-امتازت سيرته بمجموعة من الخصائص الفنية، وهي: التشويق، والفائدة، واللغة السهلة، وحسن السرد والسبك، وبدا الأثر الديني والمذهبي جليّاً، وتجلّت فيها الحقيقة والصدق، وحسن الانتقاء المعبر عن وجهة نظره، والتعليق، والصراع ونجوى الذات، والموضوعية، والنمو والتطوّر والتغيّر.

-تبيّن من سيرته أن الشيعة في منطقته كانوا غير مؤمنين بمدارس الدولة، لأنها تعلّم المنهج الوهابي؛ ولذا كانوا يفتتحون مدارس صيفية تعلّم أولادهم المذهب الشيعي، وقد التحق الرازحي بها، ورأى مدرسيها يقضون وقتهم في مضغ القات، ويركزون في مناهجهم على الشُّبه المخالفة لعقيدة أهل السنة، وكانوا يعلمون طلابهم بغض أغلب الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر ومعاوية، ذلك أنهم– حسب رأيهم– اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة والإمامة، وبيّن أنهم يقفون موقفاً سلبياً من صحيحي البخاري ومسلم، ومن بعض آراء ابن هشام النحوي؛ لأنها توافق رأي مخالفيهم السنة. ووقف عند ممارساتهم العقدية مثل جمع الصلوات، وتأخير صلاة الفجر، ووصف مجتمعهم بما فيه من شتم ولعن وإيمان بالشعوذة، وما يتسم أناسه من حقد وكره وكذب.

سيرة أبي الحسن...

-تحدّث عن دار الحديث بدمّاج، وعن أثرها في المجتمع الشيعي، وأثرها فيه وفي تحوّله المذهبي لاحقاً، وأشار إلى كثرة طلابها، وتعدد جنسياتهم، ووقف على العلوم التي تدرس فيها، وهي القرآن والحديث وعلوم العربية، وأشاد بصفات شيخها الوادعي، وبسعة علمه وغزارته. وتناول دور الدار في تحوّل الكثيرين من الشيعة إلى عقيدة السنة، ما دعا شيعة مجتمعه كي يقفوا منها موقفاً سلبيّاً، إذ كفّروا من نهج نهجها، وعاقبوهم سجناً وقتلاً وتشريداً، وأفتوا بطلاق نسائهم.

-تجلت الحقيقة في سيرة الرازحي، وبدا ذلك في ذكره مصادر معلوماته، وهي المشاركة والرؤية والذاكرة والسماع، والملاحظة العقلية والواقعية، وفي تقديمه بعض الوثائق التي كان يمتلكها، مثل: فتاوي قضاة الشيعة وفقهائهم.

- توضح السيرة أن الكاتب سعى إلى الصدق والصراحة، فوضع ميثاقاً بينه وبين المتلقين إذا بيّن في غير موضع أنّ المعلومات التي قدّمها كانت من واقع حياته وتجربته ومعايشته، وتنبه إلى بعد المسافة الزمنية بين الواقع ولحظة الكتابة، ولذلك ذكر أنّه اكتفى بإثبات ما يذكره من الحدث، وكانت المعلومات التي قدّمها من ألسنة الناس الذين عرفهم، وكانوا قريبين منه، ومنهم خاله، وأخوه عيضة، ودلّ على صدقه أنّه قدّم نفسه في حالتين: إيجابية وسلبية. وتبيّن صدقه في إجراء مقارنة بين مجتمعي السنة والشيعة قبل أن يتحول إلى السنة، ثم بين مدارس الشيعة ودار الحديث.

-أظهرت الدراسة أن الرازحي كان موضوعياً في سيرته، ومن مظاهرها أنّه لم يشتم أحداً البتة، واعتمد على الدلائل العقلية والواقعية في إثبات رأيه في الشيعة وأهل السنة، وحين صوّر نفسه في مرحلتين: مرحلة التشدّد الشيعي، وموقفه من أهل السنة والجماعة، وكرهه لهم، ثم مرحلة تحوّله إلى المذهب السنيّ، وبدت الموضوعية في المقارنة بين المجتمعين السني والشيعي، ومناهج كليهما في التدريس. ولم تكن ألفاظ البدع والضلال التي أطلقها على التشيع بعيدة عن الموضوعية، بل هي صفات تجسّدت في عقله بعد تجربة طويلة فيه، ومعايشة له ولمجتمعه، فأضحت في لا شعوره، وهدفاً له من كتابة سيرته، لِيَنْفِرَ المتلقون منه، ومن الانخراط فيه.

-أوضحت الدراسة أنّ السيرة اتّسمت بالصراع ونجوى الذات في أعلى صورها، ما أتاح للمتلقين معرفة الكاتب من الداخل، والاطلاع على ما كان يفكر لحظة الحدث أو اتخاذ القرار، فصوّر نفسه،

وما طرأ عليها من تطوّر وتغيّر، وعرض نفسه من داخلها إبّان طفولته، ورغبته في تلقي العلم، ولم يجد معيناً يومذاك، ثم صوّرها خلال تلقيها العلم في مدارس الشيعة الصيفية، وما أحدثته من أثر فيه، حتى تملكه بغض أهل السنة والجماعة. وصوّر صراعه مع الذات إبان تفكيره في المذهبين، وفي المقارنة بينهما، ووقف على صعوبة اتخاذ القرار، إلى أن التحق بدار الحديث بدمّاج، واهتدى إلى الطريق الصحيح على حدّ تعبيره.

-تبيّن أن سمة التعليق كانت حاضرة في سيرته، فكشف الكاتب من خلالها عن رؤاه ووجهة نظره في كل شيء حوله: مجتمعه الشيعي ومدرسيه ومناهجهم، ومن خاله وأخيه، ثم من السنة ومجتمعهم، وأخيراً دار الحديث بدمّاج.

-ومن السمات الأسلوبية النمو والتطوّر والتغيّر الذي بدا جلياً في سيرة الرازحي، وبخاصة في تحوّله من مذهب إلى آخر، وما تخلّل ذلك من رسم صورة لحياته كما كانت على مسرح الحياة، وما كان فيها من تأثر وتأثير، فقد ظهر في سيرته طفلاً، فمتعلماً في مدارس الشيعة، فمتزمتاً في مذهبه، فمراجعاً الذاتَ وفكرَها، بعد أن تأثر بخاله وبأخيه ودار الحديث، وبما كان يراه من صفات وسلوك سلبي في مجتمعه، حتى تحوّل في نهاية المطاف إلى مذهب السنة والجماعة.

قائمة المصادر والمراجع:

-أبو الأشبال، أحمد بن سالم المصريّ، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م) شذرات البلاتين في سير العلماء المعاصرين، ط١، دار الكيان للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، مكتبة التوحيد، بورسعيد، مصر.

-أم عبد الله بن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، (د. ت)، نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي، ط ١، دار الآثار، القاهرة، مصر.

-البيضاني، أبو همّام محمد بن علي الصومعي، نبذة يسيرة من حياة أحد أعلام الجزيرة، العلامة الوادعي- رحمه الله- كتاب منشور على الشبكة العنكبوتية، على رابط:

https://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=37071

-الحاشدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده بن قائد، (د. ت) أمّة في رجل: لمحات من حياة الإمام مقبل بن هادي الوادعي، تقديم: أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام، مكتبة الإمام الألباني، صنعاء، اليمن.

-الرازحي، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م) توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ بين أقلام أهل السنة والشيعة وغيرهم، تقديم: أحمد بن يحيى النجمي، ط ١، دار الآثار، صنعاء، اليمن.

-شرف، عبد العزيز، (مايو ١٩٩٢م) أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.

-عباس، إحسان، (د. ت)، فن السيرة، دار الشروق، عمّان، الأردن.

-عبد الدايم، يحيى إبراهيم، (د. ت)، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

-عبد الرحيم، رائد، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م) دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة، المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، المجلد العاشر، العدد الخامس، ص ٣١٩- ٣٦٨.

-العطار، مها، (١٩٩٥م) السيرة الفنية في الأدب العربي حتى أوائل الثمانينات، دمشق.

-فهمي، علي، (١٩٩٦م) السيرة الذاتية ومعايير الثقة "التاريخ الذي أحمله على ظهري نموذجاً"، مجلة الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ١٦٢، ص ١٦٢- ١٦٧.

-فهمي، ماهر حسن، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، السيرة الفنية تاريخ وفن، ط ٢، دار القلم، الكويت.

-الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (١٩٥٢م)، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان.

-القدسي، أبو الفداء معمر بن عبد الجليل، (د. ت)، الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدمّاج، ط ١، دار الآثار، صنعاء، اليمن.

-لوجون، فيليب،(١٩٨٤م) أدب السيرة الذاتية في فرنسا: المفاهيم والتصوّرات، ترجمة: ضحى شيحة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد الرابع، ص ٢٤- ٤٠.

-اليماني، محمد بن أحمد الحجري (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، ط ١، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، اليمن.